بافتتاح مدرسة النجاح بطما التي تأسست بعناية سعادة مدير جرجا ومساعدة حضرة الفاضل يوسف أفندي شوقي مأمور المركز فأجاب الجميع الدعوة » ثم ذكر في أمر الاحتفال ماذكر ، ونحن نرفع في «المنار» رايات الثناء لسعادة هذا المدير الكامل ، ومن ساعده على عمله من الافاضل ، هؤلاء هم الوطنيون المخلص ، هؤلاء هم المجددون لمجد أمتهم وملتهم ، هؤلاء أفضل العاملين ، وأنفع من الغزاة والمحاربين ، لاجرم ان العلم أفضل من الحرب والجهاد ، فافتتاح المدارس أفضل من افتتاح البلاد ، فنرجو ان يسري هذا الروح الشريف في سائر البلاد المصريه ، بل وفي جميع البلاد الشرقية ، وبالختام نرجو من سمو العزيز مولانا عباس باشا حلمي ان يكافئ سعادة مدير جرجا وحضرة مأمور طما ومن سعى سعيهما أحسن المكافأة إ . . العلم الذي هو أجل رغائب سموه في اسعاد بلاده وتنشيطاً لسائر رعيته على مثل هذا العمل وجرياً على سنة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين السلطان الاعظم الذي يقتفي سموه أثره أدام الله سلطاننا وعزيزنا ملجأ للمعارف ومصدراً للعوارف بمنه وكرمه اللهم آمين .

حاجة البشر الى الرسالة

(تابع ماقبله)

يحب الكلب سيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يرى انه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع فقدها بفقده فيحرص عليه

حرصه على حياته ولو أنه انتقل من حوزته الى حوزة آخر وغاب عنه السنين ثم رآه معرضا لخطر ما عادت اليه تلك الصور يصل بعضها بعضاً واندفع الى خلاصه بما تمكنه القوة

ذلك لان الإلهام الذي هدي بهشعور الكلب ليس مما تتسع به المذاهب فوجدانه يتردد بين الاحسان ومصدره وليس له وراءهما مذهب فحاجته في سد عوزه هي حاجته الى القائم بأمره فيحبه محبته لنفسه ولا يخشى منها شوب التعاوض في الخدمة

أما الانسان وما أدراك ما هو فليس أمره على ذلك، ليس ممن يلهم ولا يتعلم، ولا ممن يشعر ولا يتفكر، بل كان كماله النوعي في اطلاق مداركه عن القيد ومطالبه عن النهايات، وتسليمه على صغره، الى العالم الاكبر على جلالته وعظمه، يصارعه بعوامله وهي غير محدودة، وايداعه من قوى الادراك والعمل ما يعينه على المغالبة، ويمكنه من المطالبة، بسعيه ورأيه، ويتبع ذلك أن يكون له في كل كائن مما يصل اليه لذة، وبجوار كل لذة ألم ومخافة، فلا تنتهي رغائبه الى غاية، ولا تقف مخاوفه عند نهاية «ان الانسان خلق هلوعاً، اذا مسه الشر جزوعا، واذا مسه الخير منوعا» تفاوتت أفراده في مواهب الفهم، وفي قوى العمل، وفي الهمة والعزم، فمنهم المقصر ضعفا أو كسلا، المتطاول في الرغبة شهوة وطمعاً، يرى في أخيه أنه العون له على ما يريد من شؤون وجوده، لكنه يذهب من ذلك الى تخيل اللذة في الاستئثار بجميع ما في يده، ولا يقنع بمعارضته في ثمرة من ثمار عمله، وقد يجد اللذة في أن يتمتع ولا يعمل، ويرى الخير في أن يقيم مقام العمل، إعمال الفكر في استنباط ضروب الحيل، ليتمتع. وان لم يتمتع، ويغلب عليه ذلك حتى يخيل له

أن لاضير عليه لو انفرد بالوجود عمن يطلب مغالبته، ولا يبالي بإرساله الى عالم العدم بعد سلبه، فكلما حثه الذكر والخيال الى دفع مخافة أو الوصول الى لذيذ فتح له الفكر باباً من الحيلة، أوهيأ له وسيلة لاستعمال القوة، فقام التناهب، مقام التواهب، وحل الشقاق، محل الوفاق، وصار الضابط لسيرة الانسان إما الحيلة وإما القهر

هل وقف الهوى بالانسان عند التنافس في اللذائذ الجسدانية وتجالد افراده طمعاً في وصول كل الى مايظنه غاية مطلبه وان لم تكن له غاية؟ كلا ولكن قدر الله له أن تكون له لذائذ روحانية وكان من أعظم همه أن يشعر بالكرامة له في نفس غيره ممن تجمعه معهم جامعة ما نسبياً تتداليه نظره، وقد بلغت هذه الشهوات حداً من الانفس كادت تتغلب على جميع الشهوات، وأخذت لذة الوصول اليها من الارواح مكاناً لاتصعد اليه سائر اللذات، وهي من أفضل العوامل في إحراز الفضائل، وتمكين الصلات بين الافراد والامم، لو صرفت فيماسيقت لاجله. ولكن انحرف بهاالسبيل كما انحرف بغيرها للاسباب التي أشرنا اليها من التفاوت في مراتب الادراك والهمة والعزيمة حتى خيل للكثير من العقلاء أن يسعى الى اعلاء منزلته في القلوب باخافة الآمن، وازعاج الساكن، واشعار القلوب رهبة المخافة، لاتهيب الحرمة

هل يمكن مع هذا أن يستقيم أمر جماعة بني نظامهم وعلق بقاؤهم في الحياة على تعاونهم ورفد بعضهم بعضا في الاعمال؟ أو لا تكون هذه الافاعيل السابق ذكرها سبباً في تفانيهم؟ لاريب ان البقاء على تلك الاحوال،

من ضروب المحال، فلا بد للنوع في حفظ بقائه من المحبة أو ماينوب منابها

لجأ بعض أهل البصيرة في أزمنة مختلفة الى العدل وظنوا كما ظن بعض العارفين ونطق به في كلمة جليلة ان العدل نائب المحبة، نعم لايخلو القول من حكمة ولكن من الذي يضع قواعد العدل ويحمل الكافة على رعايتها؟ قيل ذلك هو العقل فكما كان الفكر والذكر والخيال ينابيع الشقاء كذلك تكون وسائل السعادة، وفيها مستقر السكينة، وقد رأينا ان اعتدال الفكر وسعة العلم، وقوة العقل وأصالة الحكم، تذهب بكثير من الناس الى ماوراء حجب الشهوات، وتعلو بهم فوق ماتخيله المخاوف، فيعرفون لكل حق حرمته، ويميزون بين لذة مايفنى ومنفعة مايبقى، وقد جاء منهم افراد في كل أمة وضعوا أصول الفضيلة، وكشفوا وجوه الرذيلة، وقسموا أعمال الانسان الى ماتحضر لذته وتسوء عاقبته، وهو مايجب اجتنابه، والى ماقد يشق احتماله ولكن تسر مغباته، وهو مايجب الاخذ به، ومنهم من أنفق في الدعوة الى رأيه نفسه وماله وقضى شهيداً في دعوة قومه الى مايحفظ نظامهم. فهؤلاء العقلاء هم الذين يضعون قواعد العدل وعلى أهل السلطان ان يحملوا الكافة على رعايتها وبذلك يستقيم أمر الناس

هذا قول لايجافي الحق ظاهره ولكن هل سمع في سيرة الانسان وهل ينطبق على سنته ان يخضع كافة افراده أو الغالب منهم لرأي العاقل لمجرد انه الصواب؟ وهل كفى في اقناع جماعة منه كشعب أو أمة قول عاقلهم انهم مخطئون وان الصواب فيما يدعوهم اليه، وان أقام على ذلك من الادلة ماهو أوضح من الضياء، وأجلى من ضرورة المحبة للبقاء؟ كلا [illegible] ذلك في تاريخ الانسان ولا هو مما ينطبق على سنته فقد تقدم لنا ان مهب

الشقاء هو تفاوت الناس في الادراك وهم مع ذلك يدعون المساواة في العقول، والتقارب في الاصول، ولا يعرف جمهورهم من حال الفاضل، الا كما يعرف من أمر الجاهل، ومن لم يكن في مرتبتك من العقل، لم يذق مذاقك من الفضل، فمجرد البيان العقلي لا يدفع نزاعا ولا يرد طماعية، وقد يكون القائم على ما وضع من شريعة العقل ممن يزعم انه أرفع من واضعها فيذهب بالناس مذهب شهواته فتذهب حرمتها ويتهدم بناؤها ويفقد ما قصد بوضعها

اضف الى ما سبق من لوازم نزعات الفكر ونزغات الاهواء شعوراً هو ألصق بالغريزة البشرية واشد لزوما لها . كل انسان مهما علا فكره، وقوي عقله، او ضعفت فطنته، وانحطت فطرته، يجد من نفسه انه مغلوب لقوة ارفع من قوته وقوة ما آنس منه الغلبة عليه مما حوله، وانه محكوم بارادة تصرفه وتصرف ما هو فيه من العوالم في وجوه قد لا تعرفها معرفة العارفين، ولا تتطرف اليها ارادة المختارين، تشعر كل نفس انها مسوقة لمعرفة تلك القوة العظمى، فتطلبها من حسها تارة ومن عقلها اخرى، ولا سبيل لها الا الطريق التي حددت انوعها، وهي طريق النظر فذهب كل في طلبها وراء رائد الفكر — فمنهم من تأولها ببعض الحيوانات لكثرة نفعها او شدة ضررها، ومنهم من تمثلت له في بعض الكواكب لظهور أثرها، ومنهم من حجبته الاشجار والاحجار لاعتبارات له فيها، ومنهم من تبدت له آثار قوى مختلفة في انواع متفرقة تماثل في افراد كل نوع وتخالف بتخالف الانواع فجعل لكل نوع الها، ولكن كلما رق الوجدان، ولطفت الاذهان، ونفذت البصائر، ارتقى الفكر وجلت النتائج، فوصل من بلغ به علمه بعض المنازل من ذلك الى معرفة هذه القدرة الباهرة واهتدى الى

انها قدرة واجب الوجود. غير ان من اسرار الجبروت ما غمض عليه فلم يسلم من الخبط فيه، ثم لم يكن له المزية الفائقة في قومه ما يحملهم على الاهتداء بهديه فبقي الخلاف دائماً، والرشد ضائعاً، اتفق الناس في الاذعان لما فاق قُدَرَهم، وعلا متناول استطاعتهم، لكنهم اختلفوا في فهم ما تلجئهم الفطرة الى الاذعان له اختلافاً كان اشد اثراً في التقاطع بينهم ، واثارة اعاصير الشقاق فيهم، من اختلافهم في فهم النافع والضار لغلبة الشهوات عليهم

ان كان الانسان قد فطر على ان يعيش في جملة ولم يمنح مع تلك الفطرة ما منحه النحل وبعض افراد النمل مثلاً من الالهام الهادي الى ما يلزم لذلك وانما ترك الى فكره يتصرف به على نحو ما سبق كما فطر على الشعور بقاهر تنساق نفسه بالرغم عنها الى معرفته ولم يفض عليه مع ذلك الشعور عرفانه بذات ذلك القاهر ولا صفاته وانما القي به في مطارح النظر تحمله الافكار في مجاريها وترمي به الى حيث يدري ولا يدري وفي كل ذلك الويل على جامعته والخطر على وجوده. افهل مُني هذا النوع بالنقص ورزىء بالقصور عن مثل ما بلغه اضعف الحيوانات واحطها في منازل الوجود ؟ نعم هو كذلك لولا ما أتاه الصانع الحكيم من ناحية ضعفه

الانسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله الى اعلى مراتب الملكوت، ويطاول بفكره ارفع معالم الجبروت، ويسامي بقوته ما يعظم عن ان يسامى من قوى الكون الاعظم، ثم يصغر ويتضاءل وينحط الى ادنى درك من الاستكانة والخضوع متى عرض له امرٌ ما لم يعرف سببه ، ولم يدرك منشأه ، ذلك سرٌ عرفه المستبصرون ، واستشعرته نفوس الناس اجمعين

من ذلك الضعف قيد الى هداه ، ومن تلك الضعة أخذ بيده الى شرف

سعادته ، أكمل الواهب الجواد لجملته ما اقتضت حكمته في تخصيص نوعه بما يميزه عن غيره ان ينقص من افراده، وكما جاد على كل شخص بالعقل المصرّف للحواس لينظر في طلب اللقمة وستر العورة والتوقي من الحرّ والبرد جاد على الجملة بما هو أمس بالحاجة في البقاء، وآثر في الوقاية من غوائل الشقاء، واحفظ لنظام الاجتماع، الذي هو عماد كونه بالاجماع، منّ عليه بالنائب الحقيقي عن المحبة بل الراجع بها الى النفوس التي اقترفت منها . لم يخالف سنته فيه من بناء كونه على قاعدة التعليم والارشاد غير انه أتاه مع ذلك من أضعف الجهات فيه وهي جهة الخضوع والاستكانة فاقام له من بين افراده مرشدين هادين وميزهم من بينها بخصائص في انفسهم لا يشركهم فيها سواهم وأيد ذلك زيادة في الاقناع بآيات باهرات تملك النفوس، تأخذ الطريق على سوابق العقول، فيستخذي الطامح، ويذل الجامح، ويصطدم بها عقل العاقل فيرجع الى رشده، وينبهر لها بصر الجاهل فيرتد عن غيه، يطرقون القلوب بقوارع من أمر الله ويدهشون المدارك ببواهر من آياته فيحيطون العقول بما لا مندوحة عن الاذعان له، ويستوي في الركون لما يجيئون به المالك والمملوك ، والسلطان والصعلوك، والعاقل والجاهل ، والمفضول والفاضل ، فيكون الاذعان لهم أشبه بالاضطراري منه بالاختياري النظري ، يعلمونهم ماشاء الله ان يصلح به معاشهم ومعادهم، وما أراد ان يعلموه من شؤون ذاته وكمال صفاته، وأولئك هم الانبياء والمرسلون ـ فبعثة الانبياء صلوات الله عليهم من متممات كون الانسان ومن أهم حاجاته في بقائه ومنزلتها من النوع ، منزلة العقل من الشخص، نعمة أتمها الله لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . وسنتكلم عن وظيفتهم بنوع من التفصيل فيما بعداه